Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالذكريات كما يظن، ولكنه يمس في الجوهر «ظاهرة» كتابية تسعى إلى التأليف بين الماضي والحاضر بعودة صريحة إلى أطوار من التاريخ الفردي بعُد بها العهد. فهي جزء من الماضي كتاريخ أدبي، ولكنها عنصر مؤثر في الحاضر (كذكريات)، وربما كفعل أدبي انقضى ولكنه يعود إلى صلب التاريخ الذهني الخاص بالشخصية التي تقوم بعملية استذكاره وإحيائه.

وقد قام الجزولي من هذا المنظور بعمليتين مركبتين :

1 ـ انطلق من حاضر 1971 (زمن الكتابة) عائدا بذاكرته إلى مرحلة ماضية من (تاريخه الشخصي) لكي يحقب زمن القول (1919) وزمن التعرف (1917) معا.

2 ـ ثم قام بإحياء (زمن الكتابة) و (زمن القول) معا في حاضرهما الماضي، إذا جاز التعبير، بعملية ذهنية كما هو المفهوم، ولكن أيضا بعملية مماثلة توخت «ترسيم» ما أنتجه في وقته في صورة تخلد ذكره وتداوله (الكتاب).

والمهم في هذا أنه زاوج بين التحقيق والتعليق. راجع نصوصه في تاريخيتها الماضية ولكنه أضاف إليها ما فرضته عليه من إيضاحات، خضعت في مجملها لما أملاه عليه حاضر المراجعة نفسه. وقد لا يكون الجزولي أضاف شيئا جديدا، وهو المرجح، إلى ما نظمه من شعر في (زمن القول، 1919)، إلا أنه ألحق به في زمن الكتابة (1971) كلاما نثريا أضاء كثيرا من جوانبه. لقد ألف بين الكتابة والقول، أو بين الماضي والحاضر، أو بين ذاكرته وذكراه.

ذكرنا هذه الأزمنة بمستوياتها الثلاثة ونحن على إدراك مسبق بأننا نصف وصفا خارجيا فقط ما اشتمل عليه المتن، ولعله من المناسب أن نقوم بخطوة أخرى لاستثمار هذا الوصف الخارجي من خلال نقطتين:

أ ـ المسافة

وهي تخص (الزمن الفيزيائي) الذي يمكن قياسه بحساب محدد على المستويات المذكورة أعلاه جميعها. وعلى هذا يمكن القول إن بين زمن التعرف (1913) وزمن الانبهار(1919) سبع سنوات ، وبين هذا وزمن الاستذكار (1971) أزيد من نصف قرن. والحاصل هو مجموع هذه الأزمنة ومسافتها المقاسة. بيد أن هذه العملية قد لا تفيدنا في شيء كثير، فضلا عن أنها تخفي بعض المعطيات الضرورية للتعرف على مفهوم المسافة.

والحال أن هناك زمنين محددين: أحدهما موضوعي والآخر ذاتي، يعبران معا عن المسافة القائمة بين المتكلم من جهة (وهو الجزولي)، والمتكلم عنه (وهو الدكالي)، وبين لحظة(ات) القول (1919) ولحظة(ات) الاستذكار (1971).